بعزة الله مع حقيقة التوكل وإن ضعف إيمانه في الاعتماد على الرب وهذا غلط
عظيم فقد دخل سير المتوكلين محمد صلى الله عليه وسلم مكة محمولا بالخيل
والرجل والسلاح في كتيبته فتح الله له مكة بغير قتال وعين على رأسه مغفرة
بغير قتال وقال في أول من يعصمني حتى أبلغ رسالات ربي وكان في أتم عز
غاية ثم له مع ربه من رعي الجمال فوق سنة وهو سيد المتوكلين وتحقيق هذا الباب
أن يعلم المتوكل اعتماد القلب على الله تعالى فيما يكسبه من خير أو يكره من ضير
لا جزاء استولى بقدرته وإرادته على ساير الكائنات من غير مشارك له في ذلك
ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده ومع
هذا قبله عوائد في ملكه ربما تحكمه فيقتضي شمول قدرته انفكاك القلب عن
غيره ومقتضى علمه به انتفاء بعضه في عوائده وهذا تقسيمت المغالبين في هذا المقام
ثلاثة أقسام قسم عاملوا الله تعالى بمقتضى شمول قدرته للخير والشر وركنوا
على حقيقة التوكل واعتقدوا عن الاستبداد بجهلهم الأدب الواجب الاتباع ⊙
وقسم لاحظوا الاستبداد واشتغلت على قلوبهم محبتهم عن الله تعالى وجهلوا إهانتهم
التوكل والأدب وهذا هو الصنيع العام الذي يعلم فيه أكثر المغالبين وقسم عاملوا
الله بمقتضى شمول قدرته وعوائده في مملكته فعملوا بما هو من تمام التوكل
والأدب وهذا مقام الأنبياء وخواص العلماء والأصفياء ⊙ **ويعلم** أن قليل
الأدب خير من كثير من العمل ولذلك يعلم أن اليسير وضاع أكثر عمله فيه أدب فيسأل
الله تعالى السلامة في الدنيا والآخرة وقال الرجل الصالح لابنه يا بني اجعل عملك
عملا واحدا يكفك فيقال له أي لا تستكثر من الأدب أكثر من استكثارك من العمل
لكثرة جزواته وتفرقه معناه ويراعى في تمام كتب في العوائد قوله تعالى ولا تنفقوا
بأيديكم إلى التهلكة أي لا تكونوا أخطأتم في نفقة أنفقتموها ملكة وقوله
تعالى وتزودوا فإن خير الزاد التقوى في الوقاية لكم من الحاجة إلى السؤال والتقوى
بأنهم كانوا يسافرون إلى الجهاد ويحج بعضهم زاد في بعض ويقطعهم في طريق
الفتوى وغيرها من هم الله تعالى بأنهم أم الفوائد وحتى تم عليهم نزكا فإن الأمور
مبنية على خواتيمها وقد قيل بعضهم إن كنت متوكلا على الله ومعتمدا
عليه وواثقا بفضله وقدرته فألق نفسك من فوق الحائط فإنه لن يصيبك إلا
ما قدر الله فعلم أن الله تعالى خلق عبادا يتبجح بهم ويمتحنهم لا يجربوه ولم يمتحنوه

إشارة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

إشارة إلى قليل الأدب خير من كثير العمل

إشارة إلى سلوك الأدب مع الله تعالى جعلنا الله تعالى من أهل الأدب معه ومع عباده ونجى
ثمرات منه وكرمه ⊙ **القسم الثالث** الذي يعبر كجرو وهو على أن
يطلب الداعي من الله تعالى أن يفي أمره أن يسمع على نفسه ولا أمثله ⊙ **الأول** أن تقول
ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من
قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك وقد عفا عن أمته
لخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فقد دل هذا الحديث على أن هذه الأمور مرفوعة
عن العباد فيكون كلها من الله تعالى كلها تحصيل الحاصل فيكون سؤاله من الله
تعالى لأنه كلها عن الحاجة ولا افتقار إليه ولو أن الحق تعالى سأل بعض الملوك أمرا
فقضاه له ثم سأله إياه بعد ذلك على ما قضاه له لعد هذا الطلب إياه استهزاء بالملك
وقلة محبة له وعيشه عن ذلك الملك تام فيه فما قول أن يستحق لأمر جاء أبعد من مع الله
تعالى ولو رأينا رجلا يقول اللهم إني قد علينا الصلاة وأوجب علينا الزكاة وأجعل أسماء
موقوفا والأرض تحت أقدامنا أرى أنكر عليه لقبح ما صدر منه من التلاعب والاستهزاء
مع دعائه ذلك أن تحريك الداعي بقوله إن نسينا أي تركنا مع العمل لقوله تعالى فاليوم ننساهم
كما نسوا لقاء يومهم هذا وقوله تعالى نسوا الله فنسيهم أي تركوا طاعة الله
بترك الله الإحسان إليهم فهذا يجوز لأنه كتب العفو عنه بفعل العفو فيه أما
النسيان الذي هو الترك مع الغفلة التي هو مشتهر في الأدب لا يجوز كتب العفو فيه لأن
العفو فيه وعيد من الله بالنص وهو إجماع وكذلك إن أراد بقوله ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به أي من البلايا والرزايا والمكروهات جاز لأنه لم يقل النص على نفي
ذلك فجاز أن التكليف التي عينه فلهذا مرفوعة بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها
ينقض بكتب ذلك بل إن أطلق العموم من غير تخصيص لما بقية ولا إرادة تخصيص
لاشتمال العموم على ما لا يجوز فيكون ذلك حراما لأن فيه كتب غير الحاصل ⊙
فإن قلت فقد قال الله تعالى حكاية عن قوم في سيا فالعرم ربنا وأنتا
ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة إنك لا تخلف الميعاد ووعد الله تعالى
لا يرد من وقوعه فقد كتبوا غير حاصل وهو عين ما نفى فيه وقد مدحهم الله
تعالى على جوازه وأثنى منه ⊙ **قلت** إنما جاز لهم سؤال ما
وعدهم الله به لأن حصوله لهم مشتق وقد بالوفاة على الإيمان وقوله تعالى مشكوك
فيه والشك في الشرط يوجب الشك في المشروط فهم أكملوا مشكوكا على

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)